

قضايا البحر الأبيض المتوسط بين الجهاد والصليبية من خلال كتابات فرناند بروديل

أ.د. هلايلي حنيفي

جامعة سيدي بلعباس

البريد الإلكتروني: hanifi_andalous@yahoo.fr

بوجلل مسعودة

طالبة دكتوراه جامعة تلمسان

تاريخ القبول: 2017/02/12

تاريخ الاستلام: 2016/11/10

لقد شكلت العلاقات بين إسبانيا والدولة العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط مرحلة هامة من مراحل الصراع الإسلامي المسيحي الذي قادته كل من الدولة العثمانية في الشرق، والإمبراطورية الإسبانية في الغرب للهيمنة على البحر الأبيض المتوسط. وقد برز هذا الصراع بشكل كبير خلال القرن 16م، الذي تصفه بعض المصادر بقرن الصراع الإسلامي مع إسبانيا، خاصة في الجزء الغربي منه. وبالإضافة إلى ذلك فهو قرن يستحيل معه فصل السياسة عن الدين و بالأخص ما كان متعلقاً منه بملف الصراع الإسباني - العثماني، حيث وجب أن لا يغيب عنا أن الدين قد أثر على فكر وسلوك الإنسان خلال القرن السادس عشر سواء أكان عثمانياً أو إسبانياً أو أوروبياً، وتلك هي الحقيقة التي تشرح لنا طبيعة الأحداث والصراعات السياسية والعسكرية بالبحر الأبيض المتوسط.

إن تلك المرحلة كانت حتمية تاريخية؛ لأن الظروف التي توفرت خلال القرن 16م، فرضت ذلك النوع من الاحتكاك بين منهجين حضاريين مختلفين، وإيديولوجيتين متناقضتين - خاصة في تلك الفترة- بالإضافة إلى المصالح المتصارعة..

الكلمات الدالة:

البحر الأبيض المتوسط- الدول الأوروبية- الدولة العثمانية- القرن 16م.

العنوان بالإنجليزية:

Notes on the evolution of intellectual life in Algeria during the Almowahidin

.Abstract:

The relations between Spain and the Ottoman Empire in the Mediterranean basin constituted an important stage in the Muslim-Christian conflict, which was led by the Ottoman Empire in the East and the Spanish Empire in the West to dominate the Mediterranean. This conflict emerged significantly during the 16th century, which is undoubtedly the century of great transformations. This is what we will study from the point of view of the French historian Fernand Braudel, the latter whose view of the conflicts in the Mediterranean was worthy of attention.

Key words:

Mediterranean - European countries - the Ottoman Empire - 16th century

لقد شكلت العلاقات بين إسبانيا والدولة العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط مرحلة هامة من مراحل الصراع الإسلامي المسيحي الذي قاده كل من الدولة العثمانية في الشرق، والإمبراطورية الإسبانية في الغرب للهيمنة على البحر الأبيض المتوسط. وقد برز هذا الصراع بشكل كبير خلال القرن 16م، الذي تصفه بعض المصادر بقرن الصراع الإسلامي مع إسبانيا، خاصة في الجزء الغربي منه. وبالإضافة إلى ذلك فهو قرن يستحيل معه فصل السياسة عن الدين و بالأخص ما كان متعلقاً منه بملف الصراع الإسباني - العثماني. حيث وجب أن لا يغيب عنا أن الدين قد أثر على فكر وسلوك الإنسان خلال القرن السادس عشر سواء أكان عثمانياً أو إسبانياً أو أوروبياً، وتلك هي الحقيقة التي تشرح لنا طبيعة الأحداث والصراعات السياسية والعسكرية بالبحر الأبيض المتوسط. إن تلك المرحلة كانت حتمية تاريخية؛ لأن الظروف التي توفرت خلال القرن 16م، فرضت ذلك النوع من الاحتكاك بين منهجين حضاريين مختلفين، وإيديولوجيتين متناقضتين - خاصة في تلك الفترة بالإضافة إلى المصالح المتصارعة. والسؤال الذي يطرح في هذه الحالة هو: ما هي الظروف والأوضاع التي تحكممت في العلاقات بين الدولة العثمانية والإمبراطورية الإسبانية خلال القرن 16 م ؟ ويمكن الإجابة عن هذا التساؤل من خلال ما يلي :

1- القضية الموريسكية:

لقد اعتبرت إسبانيا نفسها المدافع الأول عن جميع المسيحيين في المتوسط خاصة بعد إتمام وحدتها. نتيجة زواج فرديناند وإيزابيلا⁽¹⁾ سنة 1469 م والقضاء على آخر معاقل المسلمين بالأندلس، بسقوط غرناطة عام 1492م⁽²⁾. هذه الوحدة أو الزواج السياسي أفرز دولة قوية ناشئة مسيحية في الشمال، وهو ما جعل أحد الباحثين يعلق على هذه القضية بقوله: "إسبانيا من دولة ناشئة إلى إمبراطورية موحدة للمسيحيين"⁽³⁾. وبانضمام عدة أقاليم، تحقق حلم الوحدة الإسبانية بسرعة كبيرة، ومن ذلك تولدت أسطورة إسبانيا "الإمبريالية"، كما يقول بروديل. وأطلق هذان الملكان على نفسيهما لقب "الملكين الكاثوليكيين" مما يعكس صورة التعصب الديني ضد الإسلام⁽⁴⁾.

تحدث بروديل عن هذه الوحدة فقال: "كانت اللحمة القوية التي عاشتها إسبانيا في القرن الخامس عشر لحمة شعب كان الأضعف والأقل لمعناً وذكاءً وغناً في مواجهة الحضارة الإسلامية. ثم ما لبث أن تحرر وأصبح الأقوى في مواجهتها من دون أن يملك يقيناً عميقاً بقوته. فاستمر في الصراع وأقام محاكم التفتيش تحت سطوة خوف ظلامي يملكه"⁽⁵⁾. ويضيف بقوله: "لقد شكل كل من نهوض الحس الديني وعودة فكرة الصليبية في إسبانيا في القرن الخامس عشر. قاعدة الصوفية الإمبراطورية لقيام الوحدة الإسبانية. وفي سيرها نحو هذه الوحدة السياسية لم يكن في وسعها أن تُصورها إلا على صورة وحدة دينية. هذه الأخيرة التي كانت من وجه آخر ضرورية لاحتلال غرناطة عام 1492م، وللتوجه نحو شمال إفريقيا. وهكذا أصبح الملك الكاثوليكي الإسباني (فرديناند) بطل الصليبية الجديدة"⁽⁶⁾.

ولعل أهم عمل قام به الملكان الكاثوليكيان، هو تصفية الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس. وقد رأى بروديل أن سقوط غرناطة في يد الإسبان الكاثوليك يُعد تنوُّجاً لانتصارات كانت قد بدأت تتلاحق منذ القرن الحادي عشر في كل من أراغون وفالنسيا والأندلس. كوجه من وجوه الصراع الديني الحضاري، بين المسيحية والإسلام، هذا الصراع الذي اتخذ شكلاً استيطانياً ضد الشعب الموريسكي (المسلمين)⁽⁷⁾. وهو هنا ينوه لدى أهمية القضية الموريسكية بالنسبة للطرفين، كونها مثلت وجهاً جديداً من أوجه الصراع الحضاري بين العالمين الإسلامي والمسيحي.

كما يمكن القول أنه وبعد سقوط غرناطة اتبعت إسبانيا المسيحية تجاه مسلمي إفريقيا والأندلس سياسة تهدف للقضاء تدريجياً وبصورة جذرية على كل مظاهر الإسلام، ذلك أن نخوة النصر التي اجتاحت إسبانيا قد ألهمت العواطف وطغت على منطق العقل وكرست منطقاً جديداً أحاطه رجال الكنيسة بقديسية سماوية، لتسهيل عملية القضاء على النفوذ الإسلامي بالأندلس، واستئصال جذور المسلمين الثقافية والدينية، بل وملاحقتهم إلى شمال إفريقيا في إطار الصراع القائم بين الهلال والصليب⁽⁸⁾.

وفي هذا الصدد بدأ ملوك إسبانيا بوصف أنفسهم بالملوك الكاثوليك، فكل مراسلاتهم حول المسائل الإفريقية، ومطاردة الأندلسيين تدل على الطابع والصبغة الصليبية لسياستهم. ويمكن أن نستدل على ذلك بقول بروديل: إن الحروب الإسبانية في إفريقيا قد أخذت صبغة الصليبية الحقيقية وذلك نظراً للدور العظيم الذي قام بأدائه رجال الكنيسة والكهنوت، الكنيسة بإسبانيا قد ساهمت بجميع ما لديها من الحماس ومن الجرأة في هذه المعركة ضد المسلمين. بل إن الكنيسة قد أرادت في الكثير من الأحيان اعتبار هذه المعركة، معركة خاصة بها⁽⁹⁾. وقوله أيضاً: "إن التعصب الديني والرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين وإرادة إبعاد حدود الإسلام كل ذلك مجتمعاً قد دفع بالإسبانيين في أواخر القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر، إلى التدخل بالغزو في البلاد الإسلامية بالشمال الإفريقي، والكلمة التي نجدها معبرة عن هذا المعنى ولا نجد لها بديل، هي كلمة الصليبية"⁽¹⁰⁾.

وهكذا أصبحت إسبانيا تؤمن بأن عليها واجب تطهير أرضها من الإسلام والمسلمين. والتي أصبحت تخشى منه ومن شبحه، فاندفعت في محاولة لتنصير المسلمين. وصارت أملاكهم، وحرمت عليهم التكلم باللغة العربية، وارتداء الألبسة، والتردد على الحمامات، كما منعهم من فتح منازلهم أيام الحفلات يومي الجمعة والسبت، بالإضافة إلى منعهم إقامة الشعائر الدينية. وعدم التسمية بأسماء عربية، كما حولت جميع المساجد إلى كنائس وأرغمتهم أن يحملوا إشارة زرقاء على القبعة إذا ما بقوا على دينهم⁽¹¹⁾.

ومن هنا يمكن القول أن كل تلك الأعمال التي قام بها ملوك إسبانيا تجاه الموريسكيين ما هي إلا بداية فعلية لاضطهاد وابتلاع لهذه الشخصية المسلمة القويمة من أرض الأندلس. في محاولة منهم للقضاء

على الموروث الحضاري الإسلامي الذي خلده الأندلس. ويمكن أن نستدل هنا بما جاء به بروديل في قوله: "... وهذا كله لم يمنع فيليب الثاني من الحكم بالإعدام على حضارة المورييسك بأكملها، حيث قام بمنعهم من ارتداء أزيائهم وكذا التحدث باللغة العربية..."⁽¹²⁾. وقد أوكلت مهمة تحقيق هذا الهدف إلى دواوين محاكم التفتيش، هذه الأخيرة التي وجدت في المورييسكيين ميدان نشاطها المفضل⁽¹³⁾، وهذا ما يظهر في حملاتها ضد المورييسكيين والتي بلغت درجة اللاإنسانية⁽¹⁴⁾.

لقد أقرت محاكم التفتيش قطع المورييسكيين عن جذورهم وعن هويتهم الثقافية. وهذا الأمر جعل بروديل يصير على القول: "أن المشكل المورييسكي هو صراع ديني وبمعنى آخر صراع حضاري بين المسيحية والإسلام يصعب حله فهو مدعو لأن يستمر"⁽¹⁵⁾.

وهكذا كانت السياسة الإسبانية ترمي بتصرفاتها تلك إلى تقديم إنذار إلى المسلمين لكي يخلصوا في تبعيتهم لإسبانيا، وليعلموا أن المستقبل لإسبانيا الكاثوليكية. ولا مكان لدين آخر فيها، فمن أراد أن يعيش كمواطن إسباني لا بد أن يكون مسيحياً كاثوليكياً. وإن لم يعتنق هذا طوعاً. فسيجد نفسه مجبراً على اعتناقه بكل الطرق والوسائل⁽¹⁶⁾، ويؤكد بروديل على هذه الفكرة بالقول: أن الملوك الإسبان وبعد الانتصارات التي حققوها على المسلمين في الأندلس، قاموا بإرغامهم على اعتناق الدين المسيحي. وهذا ما حدث في كل من كاستيل وغرناطة. أما في كاتالونيا فقد تم طرد المسلمين (المورييسكيين) على نحو كامل. وبعد سقوط غرناطة لم يبق رسمياً مسلمون في إسبانيا، لأنهم أرغموا كلهم على اعتناق المسيحية⁽¹⁷⁾.

ولعل ما حدث في كل من غرناطة⁽¹⁸⁾ والحمراء وغيرها من المناطق التي كان يتواجد بها المورييسكيون الأندلسيون في إسبانيا من انتفاضات وثورات، ما هو إلا نتيجة من نتائج هذا الاضطهاد الشامل، ولاسيما السياسي (الملوك) والكنسي (الكنيسة ورجال الدين) منه، والذي انتهى بالمجازر والسبي والأشغال الشاقة بعد مصادرة أملاك المورييسكيين وطردهم منها وإسكان ما يقارب اثنتي عشر ألف (12 ألف) عائلة فلاحية مسيحية فيها. وأمام إصرار المورييسكيين على البقاء في إسبانيا ومواصلة كفاحهم، لجأ الملك فيليب الثاني لإصدار أمر يقضي بإجبار الرجال من المورييسكيين على العمل في البواخر تفادياً لتناسلهم وبالتالي محاولة منع تكاثرهم⁽¹⁹⁾.

يمكن القول أن الحكومة الإسبانية قد عملت على مطاردة ومنع كل ما يمكنه أن يؤدي إلى مواصلة عيش أو استمرارية الإسلام في غرناطة. وهدفت من وراء هذه السياسة إلى تقديم إنذار إلى المسلمين (الموريسكيين الأندلسيين)، لكي يُخلصوا في تبعيتهم لها ولجعلهم يشعرون بالخوف والارتباك⁽²⁰⁾. ومن هذا المنطلق الديني - المتعصب - تأججت نار الحقد الصليبي الأوروبي الذي كانت توجهه الكنيسة ضد الإسلام والمسلمين بالشرق والمغرب، ونال مسلموا الأندلس النصيب الأكبر من ويلات الحرب الصليبية هذه. بصفتهم يقطنون جزءاً من أوروبا ويهددون المسيحية في عقر دارها⁽²¹⁾.

ومن هنا يمكن القول أن هذا الحقد المسلط على الموريسكيين لم يتوقف إلا بعد طردهم نهائياً من إسبانيا كلها. ما بين عام 1609 وعام 1614م⁽²²⁾، ويقدر المؤرخون عدد الذين طردوا بثلاث مائة (300) ألف نسمة. ويرى بروديل أن كل تلك التصرفات والسلوكات النابعة من الملوك الإسبان والكنيسة الكاثوليكية لم يكن مصدرها الحقد العنصري (التمييز العنصري)، بل كانت في حقيقتها نابعة من حقد ديني أو حضاري كموجه أساسي لها⁽²³⁾.

إن ما حدث في إسبانيا اتجاه الموريسكيين الأندلسيين يمكن اعتباره استعماراً حقيقياً، وهذا بالنظر إلى كل ما تعرضوا له من نهب واعتداء وقتل واستبداد ومجازر واضطهاد، ديني... الخ. ومثل هذا الاستعمار ليس ثمرة تحولات اقتصادية واجتماعية، بل هو نتيجة مباشرة للسيطرة السياسية، وهذا ما يتضح في إرغامهم على اعتناق الدين المسيحي⁽²⁴⁾. وأحسن ما يمكن أن نختم به كلامنا عن القضية الموريسكية هو التساؤل الذي طرحه بروديل، والذي كان مفاده: لماذا فعلت إسبانيا ما فعلته بالموريسك؟ وقد جاءت الإجابة عن هذا التساؤل من وجهة نظره على النحو التالي: أن إسبانيا قد فعلت ما فعلته بالموريسكيين، لأنهم واجهوا الحضارة الغربية المفروضة عليهم بالرفض، في مقابل سعيهم للمحافظة على دينهم وأزيائهم وروابطهم العاطفية التي كانت تشدهم إلى عوالم الإسلام. وفي المقابل كان يستحيل على إسبانيا التعايش مع مركز إسلامي يقوم في قلبها - وهذا اعتراف بعجزها - فوجدت نفسها في مواجهة خيارين اثنين: إما اقتلاع ذلك المركز من جذوره، وإما التعايش معه بغية دمج وهضمه على نحو شامل. وقد تأرجح السلوك الإسباني بين هذين الحدين. لتختار أخيراً الحد الأكثر جذرية أو

راديكالية ألا وهو اقتلاع الموريسكيين ونفيهم من المدن أولاً ومن الأرياف ثانياً. لكن ما حصل لم يمحُ أثر الإسلام من إسبانيا التي تشبعت بعدد كبير من المؤثرات الحضارية الإسلامية⁽²⁵⁾.

ويمكن أن نستشف موقف بروديل الشخصي من القضية الموريسكية في قوله: "... فضلاً عن تجنب الأخذ بأحكام الأخلاقيين المبسطة التي ترسم خطأ فاصلاً بين الصالح والسيئ وبين الخير والشر. إنني أرفض اتهام إسبانيا بالإجرام في حق اليهود⁽²⁶⁾، لأنه ليس من حضارة في التاريخ كله قامت بتفضيل الآخر على نفسها. أقول هذا في الوقت نفسه الذي أقف فيه، ومهما حصل، إلى جانب جميع الذي يُسلمون حريتهم وممتلكاتهم وتنتهك أجسامهم وتُحتقر معتقداتهم، أي أنني أقف إلى جانب كل من الموريسك واليهود في إسبانيا. لكن موقفي هذا، فضلاً عن أحاسيسي ومشاعري، لا علاقة لها البتة بحقيقة المشكلة التاريخية المطروحة"⁽²⁷⁾. وختم بروديل كلامه بالقول أن الحروب "الاستعمارية" كلها هي في الأصل صدام بين حضارات أكثر طلباً من المجتمعات التي تنتمي إليها، حضارات تتغذى من الحقد والغضب ولا تعرف الرحمة. هكذا هو حال القضية الموريسكية، التي ما هي إلا حلقة من حلقات الصراع الحضاري الطويل في البحر المتوسط بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي اللذين يتبادلان الغنى والفقرو التفوق والتأخر، ويتناوبانها⁽²⁸⁾.

2- القرصنة البحرية:

أطلق على الحروب البحرية في القرن الخامس والسادس عشر لفظ القرصنة ويُعتبر البحر المتوسط مهد القرصنة البحرية، فالقرصنة البحرية قديمة قدم التاريخ⁽²⁹⁾، ولم تكن إذاً وليدة القرن السادس عشر، بل تعود جذورها إلى أبعد من ذلك بكثير، إلا أن ازدهار نشاطها بدأ منذ القرن السادس عشر⁽³⁰⁾. إلا أن للقرصنة قوانين تحكمها ونظامها الدولي الذي يُطرها. وفي هذا يقول بروديل: "... القرصنة ظاهرة قديمة في المتوسط لكنها تختلف عنها في الأطلسي، في أن الأولى لها قواعد وأعرافها، وتقاليدها، إذ كانت تعقبها مفاوضات بين الدول والمدن التي كانت تقوم بينها إلى تبادل القرصنة صلات". ويضيف قائلاً: "... كانت القرصنة شكلاً من أشكال الحرب، وهي أي القرصنة لم تكن نشاطاً فردياً، بل نشاط جماعات وشبكات تشترك المدن والدول في تنظيمها، الأمر الذي يؤكد أنها كانت من طباع ذلك الوقت ومزايها..."⁽³¹⁾. إن البحر الأبيض المتوسط بأكمله، كان مجال صراعات مستمرة.

بين كيانات متجاورة ومتحاربة. إن الحرب تبرز كواقع دائم، يبرز للصوصية البحرية، وتبريرها يعني ترتيبها ضمن فئة قريبة منها، لكنها موصوفة بالنبل وهي القرصنة. لكن ثمة فارق له أهميته وهو أن القرصنة لصوصية عتيقة، ترسخت في مجالها، بعرفها ومستوياتها وحواراتها المتكررة⁽³²⁾.

لقد كانت الجزائر من أهم الدول التي قامت ونشأت على القرصنة، كما صُنفت واعتبرت من أقوى الدول التي تعاطت هذا النشاط. إلا أن الواقع في حوض البحر الأبيض المتوسط، هو ما ذكره بروديل حين قال: "كان هناك أكثر من جزائر مسيحية (يقصد بذلك القرصنة)، كمالطة، وبيزا، وليفورن"⁽³³⁾. ويضيف معقباً على ذلك بقوله: "... وفي الجهة الأخرى من البحر المتوسط كانت مالطة مركزاً للقرصنة وشبكاتها على نحو ما كانت الجزائر. هكذا كانت القرصنة، بتقلباتها وبمناطق ازدهارها تعكس بوضوح الحركات الكبرى للحياة المتوسطية".

وعليه يمكن القول أن القرصنة لم تكن حكراً على الجزائر والدولة العثمانية فحسب، بل كانت كل الأمم تتعاطى القرصنة، ويمكن أن نستدل على هذا بقول بروديل: "... وفي القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر. حين كان الهلال يقف في وجه الصليب في البحر الأبيض، كان البحارة يحاربون إما باسم الصليب وإما باسم الجهاد. فهؤلاء فرسان القديس يوحنا، نصبوا أنفسهم في جزيرة مالطة وانطلقوا إلى شرقي البحر الأبيض المتوسط للاستيلاء على السفن التجارية وركابها وربانيتها. وقد جعلوا البحر والطريق غير آمن على الحجاج المسلمين، وهي الطريق التي تمتد بين رودس والإسكندرية. فبالإضافة إلى كونها طريق للحج، كانت طريق لتجارة التوابل والحريير والخشب والأرز والقمح والسكر..."⁽³⁴⁾. لقد قوى الطابع الديني القرصنة في القرن السادس عشر، وغلب على القرصنة المسيحية وكذا الإسلامية⁽³⁵⁾ على حدٍ سواء، ولا سيما إثر اشتداد الصراع بين الخلافة العثمانية والدول الأوروبية. وفي هذا تقول المؤرخة كورين شوفالييه: "كانت القرصنة بالنسبة للمسلمين قبل كل شيء شكلاً من أشكال الجهاد البحري، ولو أنها تتخذ أحياناً طابع الحروب الصليبية من جانب المسيحيين"⁽³⁶⁾.

لقد كان النصف الأول من القرن السادس عشر فترة لتفوق القرصنة الإسلامية انطلاقاً من شمال إفريقيا، ويظهر هذا التفوق والازدهار خاصة عقب سيطرة الأتراك على جزيرة رودس في عام 1522م، لتنمو بشكلٍ واسع بعد سيطرة الإسلام على المتوسط في عام 1538م. ليكون النصف الثاني من القرن

نفسه لصالح توسع القرصنة المسيحية خاصة بعد التفوق الذي تم إحرازه في معركة ليبانت لصالح المسيحية عام 1580م، وهكذا سيتوسع نشاط القرصنة البحرية بالنسبة للطرفين بالوتيرة نفسها حتى بداية القرن السابع عشر أين ستتجه القرصنة الإسلامية المثلثة في القرصنة الجزائرية اتجاه المحيط الأطلسي، ليتم في المقابل توغل القرصنة المسيحية المثلثة في المالطيون والصقليون (نسبة إلى صقلية) و النابوليون (نسبة إلى نابولي) في المشرق في منتصف السبعينات من القرن السادس عشر، ليقف هؤلاء جنباً إلى جنب ويشتركوا في نهب السفن الإسلامية وإغراقها وأسر ركابها⁽³⁷⁾. وعلى هذا يمكن توضيح الرؤى؛ أن العامل الديني كان له بالغ الأثر في تحريك الدول في حوض المتوسط؛ نحو الصراع وتضارب المصالح بينهما، ولا يمكن التعبير عن ذلك بغير القول أن الشعوب أصبحت في تصادم⁽³⁸⁾. ويعبر جون وولف عن ذلك بقوله: "لقد كان الأمر بالنسبة للطرفين المسيحي والإسلامي، أمر جهاد وحرب مقدسة"⁽³⁹⁾.

لقد كان لبروديل رأي مخالف فيما يخص القول أن القرصنة مرتبطة أساساً بالعامل الديني (المسيحية والإسلام)، ويظهر هذا في قوله: "إن القرصنة كانت منتشرة في أنحاء المتوسط كلها دون أن تعرف ديناً أو وطناً. فهي مهنة للعيش تتوسل الدين كذريعة حملها المؤرخون على محمل الجد فأتت استنتاجاتهم متسعة"⁽⁴⁰⁾. لقد كانت عملية القرصنة إذن تحمل طابع الحرب المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين، ولكن الطابع الديني بدأ يضعف ويفسح المجال للطابع الاقتصادي بعد توقف الصراع الكبير بين الدول الكبرى (حرب الأرمادات)، ليتم فسح المجال أمام الغزو البحري أو الحروب الصغرى (حرب المغامرات)⁽⁴¹⁾.

كما يرى بعض المؤرخون أنها ذات طابع اقتصادي، وهناك من يرى أنها شكل من أشكال الحرب التجارية تعتمد على التفوق في العتاد الحربي⁽⁴²⁾، وهناك من يرى أنها حرب استنزافية غير معلنة. ويذهب بروديل إلى النقطة نفسها بقوله: هذا المحيط الذي كان ينبض بالحياة جرّاء انتعاش الملاحة التجارية فيه، فكان من أهم أسباب التحوّل في مهام البحرية الجزائرية الوفرة الاقتصادية للمتوسط والمحيط الأطلسي، والتي استمرت إلى ما بعد منتصف القرن السابع عشر. وانحطاط الدول الكبرى ووهنها. فعلى نحو ما كانت تضعف سيطرة الأتراك في الحوض الشرقي، كانت تضعف في المقابل سيطرة الإسبان في الحوض الغربي منه⁽⁴³⁾، فبدأت البحرية الجزائرية تتحول شيئاً فشيئاً نحو الغزو البحري

الذي كان الهدف من ورائه هو القيمة الاقتصادية، ومن هنا كانت نقطة التحول من الجهاد البحري إلى الغزو البحري. وبذلك غدت القرصنة الجزائرية تتمحور بشكل أساسي حول فكرة الغنائم الجيدة والثمينة. لا حول فكرة الدين، خاصة بعدما احتضنت البحرية الجزائرية المغامرين الأوروبيين الراغبين في الثراء السريع⁽⁴⁴⁾. وبالتالي أضحت القرصنة والنشاط الاقتصادي مترابطان، فهذا يرتفع وذلك يستفيد من الازدهار والتقدم⁽⁴⁵⁾.

وهكذا هيأت القرصنة من وجهة نظر بروديل بروز حقتين من الازدهار لمدينة الجزائر. فبين العام 1560 والعام 1570م اجتاحت قراصنة الجزائر حوض المتوسط الغربي كله. من البحر الأدرياتيكي إلى مضيق جبل طارق والشواطئ الأطلسية للأندلس. حيث أسروا خمسين سفينة في مضيق جبل طارق في جوان 1566م. وقد أدت جراءة أولئك القراصنة إلى أن تعيش كل من صقلية وجزر البليار في ما يشبه حالة حصار لدرجة الحديث عن توقف الملاحة في حوض المتوسط الغربي في العامين (1563-1564م). أما الحقبة الثانية من ازدهار الجزائر فكانت في الفترة الممتدة ما بين (1580-1620م). وفي هذه الحقبة ساعدت زيادة الثروة التي جنتها الجزائر في الحقبة الأولى على تطوير سفنها لتصبح قادرة على الوصول إلى مرسيليا والبندقية، وأصبح الجزائريون عندئذ يجوبون البحر الأبيض المتوسط، من البحر الأدرياتيكي إلى مضيق جبل طارق. بل إنهم اجتازوا إلى المحيط الأطلسي. وقد بلغوا أراضي إيرلندا وإنجلترا والدنمارك والبرتغال وإسبانيا وأخذوا منها الأسرى والغنائم⁽⁴⁶⁾. ويمكن القول أن اعتبار القرن السابع عشر ميلادي عصر البحرية الجزائرية الذهبية راجع إلى كون أن نشاطها البحري قد شمل البحر المتوسط كله، وامتد إلى سواحل أوروبا الشمالية والبرازيل وأيسلندا والأراضي الجديدة⁽⁴⁷⁾، وهكذا استطاعت الجزائر وبفضل هذه القوة، وبتقنياتها المتقدمة أن تسيطر سيطرة تكاد تكون كلية على الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط بل والانطلاق في اتجاه المحيط الأطلسي⁽⁴⁸⁾.

ففي الفترة الممتدة بين (1621-1627م). كان في الجزائر عشرون ألف أسير منهم فلامنديون وإيقوسيون وإنجليز ودانمركيون وإيرلنديون وهنغاريون وإسبان وفرنسيون وإيطاليون وسوريون ومصريون، ويابانيون وصينيون و من إسبانيا وإثيوبيا، فكل أمة كان لها في الجزائر طابور من الأسرى. ومن المرتدين (العلوج). وتجاوزت الغنائم في أوائل هذا القرن ما قيمته ثلاثة ملايين جنيه. وهكذا وبداية من القرن

السابع عشر أصبحت الجزائر مدينة في حجم المتوسط الذي مدّت فيه شباك قراصنتها حتى سواحل إنجلترا وسواحل إيسلندا، لقد شكّلت ظاهرة عالمية أدّت إلى ولادة مؤسّسات لاسترجاع الأسرى منها وافتدائهم. وعميلة تبادل الأسرى والسلع غيّرت من جغرافية الأسواق والتجارة فولدت روابط واتصالات ووسطاء⁽⁴⁹⁾.

كانت مدينة الجزائر بمثابة السوط المسلّط على العالم المسيحي، إنّها رعب أوروبا ولجام إيطاليا وإسبانيا وصاحبة الأمر في الجزر⁽⁵⁰⁾. وفي هذا الصدد يذكر بروديل قوله: "لم يرفق رياس البحر بالسواحل الإسبانية، والمناطق التابعة لها خلال القرن 10هـ/16م. لم يمثل نشاطهم هذا خطراً على المصالح السياسية الإسبانية فحسب، بل مثل تهديداً للمصالح الاقتصادية فقد ألحق بعض الضرر بتجارة موانئ إسبانيا، وأثرى مدينة الجزائر بما ضمنه لها من غنائم"⁽⁵¹⁾.

لقد ساهمت البحريّة الجزائرية وقراصنتها في تطوير الاقتصاد الجزائريّ، وجعل مدينة الجزائر مدينة ثريّة مزدهرة، وفي هذا يذكر بروديل قوله: "مدينة الجزائر بنموها اللاطيعي، تغيرت وتبدل واقعها الاجتماعي في حقبات متتالية: انتقلت من مدينة للبربر(1516-1538م) إلى مدينة للأتراك وللمرتدين عن المسيحية(الأعلاج) قبل أن تصبح مدينة شبيهة بالمدن الإيطالية بين العام 1560م والعام 1587م، ثم ما لبث كل من الإنجليز والهولنديون أن وصلوا إليها، حاملين معهم مدافعهم المتطورة التي استفاد منها الجزائر في قرصنتها وزادت من ثروتها، ليقال أنه كان فيها بين عام 1621 وعام 1627م حوالي 20 ألف أسير..."⁽⁵²⁾.

وقد سعت أغلب المصادر الأوروبية إلى تضخيم حجم "القرصنة البربرية"، والنتائج المترتبة عنها بشكل يصعب تصديقه، وعليه يجب الابتعاد عن الادعاءات الأوروبية التي ترى في النشاط البحري للدولة العثمانية والإيالة الجزائرية ودول شمال إفريقيا عملاً لصويّا⁽⁵³⁾. وهذا ما يوضحه بروديل في قوله: "بأنه وعلى الرغم من أن المؤرخين قد أكثروا من الحديث عن قرصنة إسلامية خصوصاً في الجزائر، فإن القرصنة كانت منتشرة في أنحاء المتوسط كلها من دون أن تعرف ديناً أو وطناً. فهي مهنة للعيش تتخذ أحياناً الدين كذريعة حملها المؤرخون على محمل الجد فجاءت استنتاجاتهم متسرعة"⁽⁵⁴⁾. وعموماً لقد كانت القرصنة جزءاً لا يتجزأ من مجموع المتغيرات السياسية والتقنية والتجارية، لقد جمعت

القرصنة بين السيئ والحسن الذي كان يربط ويجمع بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط خلال التاريخ، من خلال إعطاء المثل التاريخية التي كانت تنتمي لصفتي المتوسط وفي هذا الشأن يذكر بروديل قوله: " كانت القرصنة البحرية تستهلك الجهاد الإسلامي والصليبية المسيحية، في حقبة لم يعد يهتم فيها بهما غير المجانين والقديسين. ولن تعود الحروب الكبرى إلى المتوسط والتي كانت قد اندلعت في كل من الشمال والأطلسي، في نهاية القرن السادس عشر لن تعود الحروب الكبرى إلى المتوسط لأنه لم يعد قادراً على تحمل أعبائها ونفقاتها"⁵⁵.

3- معركة ليبانت 1571م:

لقد امتدت مناطق الصراع العثماني الصليبي إلى ميادين بحرية بعيدة عن مركز الدولة، ولكن البحر المتوسط ظل الميدان الأهم باعتباره المركز الأول والميدان الأساسي لهذا الصراع، خاصة في أواسط القرن السادس عشر. وقد ارتكزت السياسة العثمانية على إضعاف إسبانيا باعتبارها القوة الصليبية الرئيسية في أوروبا. وتعتبر معركة ليبانت من مظاهر العداء بين الدولة العثمانية، وإسبانيا في حوض البحر المتوسط حيث قررت إسبانيا نقل الصراع بعيداً عن سواحلها، وإشغال النزعة الصليبية الأوروبية في مواجهة الخطر الإسلامي المتنامي⁵⁶. وتعد هذه المعركة من أهم الأحداث العسكرية التي جرت في البحر الأبيض المتوسط كونها كانت انتصار للشجاعة والتقنية البحرية⁵⁷.

ويتحدث بروديل عن المعركة فيقول: " لقد تحدى بعض كبار الوجوه القدر، مثل البابا بيوس الخامس الذي تبني القرار الذي أدى عام 1571م إلى تكوين تكتل مقدس بين البندقية وروما وإسبانيا، ونجح في ذلك بفضل شخصيته الفريدة، إذ لولاه لما كان ممكناً تكوين كتلة مقدسة وما كانت معركة ليبانت لتقع عام 1571م. وهكذا يمكن أن نقدر مدى أهمية شخصية البابا القوية في إنجاح هذا التكتل فهو من تولى القيادة الروحية لهذه المعركة، وحث جميع المسيحيين على الاشتراك في حرب المسيحية ضد الإسلام، والمسلمين⁵⁸. حصلت هذه المواجهة بين الطرفين عند بزوغ شمس يوم 7 أكتوبر من سنة 1571م، في المكان الواقع بين خليج ليبانت و باتراس (Patras)⁵⁹، تمكن خلالها الطرف المسيحي المكون من 208 سفينة حربية من محاصرة السفن التركية التي بلغ عددها 230 سفينة. لقد

كانت السفن المسيحية سفن متطورة استعملت في هجومها المدفعية، أما السفن التركية فقد اقتصر في الغالب على استعمال وسائل بسيطة كالرمح والأقواس وغيرها⁽⁶⁰⁾.

كانت الخسائر العثمانية كبيرة، وهذا ما يوضحه محمد فريد الذي حددها على النحو التالي: "أخذت مائة وثلاثون سفينة عثمانية، وأُحرقت وأُغرقت أربع وتسعون، وغنمت ثلاثمائة مدفعاً وثلاثين ألف أسير"⁽⁶¹⁾. أما بروديل فقد قدر الخسائر بـ 30000 شخص بين قتيل وجريح وفقدان 3000 أسير و15000 آخرين تم إطلاق سراحهم ممن كانوا يعملون كمجدفين في السفن. أما من جانب التحالف المسيحي، فقد قتل 8000 شخص. وقد ذكر أن عدد الجرحى بلغ 21000 جريح، كما فقد المسيحيون عشرة سفن⁽⁶²⁾. وهكذا أدت هذه الهزيمة إلى ترزعق التفوق الذي كانت عليه البحرية العثمانية، والذي استمر منذ عام 1538م⁽⁶³⁾.

فرح المسيحيون كثيراً بهذا النصر الذي حققوه؛ لأنهم بذلك يكونون قد انتصروا على الإسلام. وقاموا بوضع مخططات لشن حملات عسكرية مستقبلية حول المتوسط بداية من شمال إفريقيا وصولاً إلى مصر وسوريا⁽⁶⁴⁾. غير أن هذا الانتصار الذي حققه العالم المسيحي لم يُفد كثيراً سوى أنه رفع روحهم المعنوية لفترة وجيزة. ففي العام التالي خرج الأسطول العثماني أقوى إلى البحر المتوسط واستطاع أن يُجبر المتحالفين على الانسحاب من مياه بحر إيجه و الأدياتيكي. مما أدى إلى خيبة أمل كبيرة في العالم المسيحي. لا سيما الإسبان. كما ازدادت تلك الخيبة أكثر عندما تم استرجاع تونس من جديد عام 1574م وهذا الصراع الذي تحقق فيه أكبر الصدامات لأعظم قوتين إحداهما في الشرق والثانية في الغرب، قد وضع نهاية لمستقبل الإسبان في شمال إفريقيا ولسياستهم في "استعمار" و"حرب الاسترداد" وبموجب معاهدة عام 1581م تباعدت هاتان القوتان إحداهما عن الأخرى⁽⁶⁵⁾.

والجدير بالملاحظة أن بروديل لا يتحمس كثيراً لإبراز تفاصيل المعركة العسكرية بقدر ما تستدعيه نتائجها (هزيمة الدولة العثمانية) من تفكير وتأمل وتقييم لدلالات الحدث. وربط هذه الدلالات بتراجع القوة العثمانية كجزء من بدايات تراجع أهمية المتوسط العالمية⁽⁶⁶⁾. كما أن انتصار الطرف المسيحي في معركة ليبانت هو من وجهة نظر بروديل وبعض المؤرخين الغربيين، نصر لم تؤدِ نتائجه إلى شيء يُذكر كونه لم يحقق أهداف إستراتيجية، بل أدى فقط إلى رسم آمال عريضة لمواصلة تحقيق انتصارات أخرى

على الدولة العثمانية دون أن يتم الوصول إلى هذا الهدف. فبالرغم من هذا الفوز لم يكن بالإمكان القضاء على الجذور العثمانية التي كانت ذات امتداد عميق في الداخل القاري. وبالتالي يمكن اعتبار هذا النصر هو فقط بمثابة انقضاء فترة طويلة من الاضطهاد ونهاية لعقدة النقص لدى المسيحيين. ويدعم بروديل فكرته هذه بالقول أن إسبانيا مثلاً قد استغلت فرصة السلام القائم في الغرب المسيحي آنذاك لضرب الشرق الإسلامي في البحر المتوسط. إلا أنها وبالرغم من كل هذا لم تكن قادرة على تجميع كل قواها لتوجيه ضربة شاملة للقضاء على خصمها. بل اكتفت فقط بشن هجمات متناثرة هنا وهناك، تلك الهجمات التي كانت مدفوعة بالظروف أكثر منها بالرغبات، وهذا ما يفسر انتصارها الذي لم يؤد إلى نتيجة ولم يحمل أية ثمار⁽⁶⁷⁾.

وعليه فإن هذا التصادم الكبير الذي حدث بين الطرفين في معركة ليبانت لم يكن بالنسبة إلى الإسبان إلا انتصاراً مفرداً، لأنه كان يهدف إلى إعادة توازن يُهدده التقدم العثماني. حيث أن العثمانيين قد توجهوا نحو المحيط الهندي. والإسبان نحو المحيط الأطلسي ونحو الشمال. وقد مثلت هذه المعركة نهاية للمواجهات الكبرى بين الدولة العثمانية وإسبانيا، حيث جنحت كلتاها إلى السلم؛ الدولة العثمانية بسبب انشغالها بحربها مع الصفويين، وإسبانيا التي كانت منشغلة بحروبها في الأراضي المنخفضة (هولندا). وهكذا كانت الإمبراطوريتان تبتعدان عن المتوسط بالتوترية نفسها، في الوقت الذي كانت تدق في قلب المتوسط ساعة تراجع الإمبراطوريات⁽⁶⁸⁾. ومن هنا يمكن القول أنه ومع نهاية سنة 1574م، انتهى الصراع الذي احتدم منذ بداية القرن السادس عشر بين الدولة العثمانية التي رفعت راية الجهاد الإسلامي وحامية الأقطار الإسلامية من جهة، والإمبراطورية الإسبانية التي رفعت لواء الحروب الصليبية لمواصلة احتلال ما تبقى من أراضي المسلمين من جهة أخرى. ولقد كان فتح تونس في سنة 1574م، آخر عملية كبرى للأسطول العثماني في الأقطار المغاربية. أما الإسبان من جهتهم فقد حولوا أنظارهم إلى أفاق أخرى ونتيجة لهذه الظروف ولأول مرة تمكن كل من الإسبان والعثمانيين من التوصل إلى اتفاق هدنة ثم سلم سنة 1578م بطلب من إسبانيا⁽⁶⁹⁾.

ومن هنا يمكن اعتبار نهاية القرن السادس عشر نهاية للحروب الكبرى في المتوسط باتجاه الشمال والأطلسي. وفي هذا السياق يذكر بروديل قوله: "... لن تعود الحروب إلى المتوسط لأنه لم يعد قادراً على

تحمل أعبائها ونفقاتها. فالحروب الكبرى اتجهت، بعد معركة ليبانت نحو الشمال والأطلسي، في نهاية القرن السادس عشر. لتقع طيلة قرون فيها، حيث راح يخفق قلب العالم. هكذا بدأت في العام 1618م حرب الثلاثين سنة بعيداً عن البحر الداخلي (المتوسط) الذي لم يعد يخفق بعنف، لأنه فقد موقعه القديم كقلب للعالم كله⁽⁷⁰⁾. لقد كلفت الحروب كلا المعسكرين خسائر باهظة من الرجال والعتاد، فكانت مسؤولة إلى حد كبير عن الإفلاس المالي الذي أصاب كلا الإمبراطوريتين (الإسبانية والعثمانية)⁽⁷¹⁾. كان البحر المتوسط ولدة طويلة من الزمن حلبة صراع إسلامي مسيحي مرير خاصة خلال الفترة الحديثة، ويمكن اعتبار القضية الموريسكية والصراع الإسباني المغربي (الإيلات العثمانية) وكذا القرصنة وجهاً من وجوه هذا الصراع؛ بل هي جزء هام منه. إن لم نقل أهم مرحلة فيه. هذا الصراع الذي كانت تغذيه النزعة الدينية بالدرجة الأولى؛ خاصة من الطرف الإسباني المتعصب، لكن ذلك لا ينفي وجود دوافع أخرى؛ اقتصادية وأمنية وغيرها.

إن العلاقات بين ضفتي حوض البحر المتوسط تحكمت فيها عدة عوامل مختلفة، ولا يمكن حصرها في ظرف أو عامل واحد، فطبيعة القوى الموجودة إلى جانب المصالح الاقتصادية والاستراتيجية، دون إهمال العامل الديني الحضاري، كلها تحكمت في رسم العلاقات الدولية في المتوسط لا سيما منها العثمانية والإسبانية خلال القرن 16م.

الهوامش:

- (1) بزواج إيزابيلا وفرديناند. تكونت الخريطة السياسية لشبه الجزيرة الأيبيرية في القرن 15م/ 9هـ؛ من عدة كيانات سياسية أهمها: مملكة "قشتالة" ومملكة "آراغون" أو "آراغون"، و"مملكة النصار" والبرتغال. وهي ممالك مسيحية، حدث هذا الزواج في سنة 1469م، حيث تزوج فرديناند ملك الآراغون، من إيزابيلا ملكة قشتالة. وقد ترددت إيزابيلا قبل أن تختار ملك آراغون على حساب ملك البرتغال. رغم أن هذا الزواج لم يؤد إلى توحيد كلي، لاهتمام الآراغون بجزر البحر الأبيض المتوسط. أما قشتالة فكان لها نظرة سياسية أكثر عدوانية على المسلمين. ينظر: جون، ب، وولف، "رياس البحر" تعريب: أبو القاسم سعد الله، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 03، الجزائر، 1987، ص ص 201-222.
- (2) رجاء، العودي، "عدوني، الجهاد البحري المشترك بين إفريقيا والمغرب الأقصى بين القرن الثالث عشر والسادس عشر ميلادي" مجلة اللجنة المغربية لتاريخ البحرية الإسلامية، سلا - المغرب، ماي- جوان 1997، ص 109.

- (3) صالح، حيمر، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1541م وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2006-2007م، ص26.
- Fernand, Braudel, La Méditerranée et Le monde Méditerranéen à l'époque de 4)
Philippe II, Paris, Armand colin, 1965.
Paul Carmignani , Autour de F. Braudel, Presse Universitaire de Perpignan,
.2002
- (5) فرنان، بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي (ترجمة: مروان أبي سمرا) الطبعة الأولى، بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993، ص- ص144-145.
- (6) نفسه، ص 124.
- (7) نفسه، ص 139.
- Fernand, Braudel, Les Espagnols et La Berbérie De 1492 à 1577, éd, (8)
N°02, Belles Lettres étude, Algérie, 2013, pp.200 - 201.
Fernand ,Braudel ,La Méditerranée ..., Op. Cit (9)
,T2,p.199.
- (10) أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا(1492-1792م)، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص81.
- (11) فرنان، بروديل، المرجع السابق، ص139. وينظر أيضا: عبد الجليل، التميمي، "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م" مجلة الأصالة، الجزائر. جانفي- فيفري، العدد 2-3، 1975م، ص 64.
- (12) فرنان، بروديل، المرجع السابق، ص139.
- (13) محمد عبد الله، غنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، الطبعة الثالثة، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966، ص 356.
- (14) ليلي، الصباغ، "ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ/ أواخر عام 1568 والدولة العثمانية"، مجلة الأصالة، العدد 27، الجزائر، 1975، ص ص116-117.
- Fernand ,Braudel ,La Méditerranée ..., Op. Cit, T2, p.118 (15)
- (16) لوي، كاديك، الموريكيون الأندلسيون المجابهة الجدلية (1492-1640)، تعريب: عبد الجليل التميمي، الطبعة الأولى، منشورات زغوان، تونس، 1989، ص87.
- (17) فرنان، بروديل، المرجع السابق، ص139.

- (18) حول موضوع ثورة غرناطة، ينظر: Fernand ,Braudel ,La Méditerranée ..., Op.cit, T2, pp.893-904.
- (19) فرنان، بروديل، المرجع السابق، صص 139-140.
- (20) Fernand ,Braudel ,La Méditerranée ..., Op. Cit ,T2,pp.526-527.
- (21) محمد عبد الله ، عنان، المرجع السابق، ص78.
- (22) حول قرارات الطرد التي تعرض لها الموريسكيين، ينظر: حنيفي، هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى، الجزائر، 2010.
- (23) فرنان، بروديل، المرجع السابق، ص 140.
- (24) نفسه، ص 139.
- (25) نفسه، ص 140.
- (26) حول ما تعرض له اليهود في إسبانيا من اضطهاد وعمليات طرد ينظر: فرنان، بروديلن المرجع السابق، ص ص 141- 144. وينظر أيضا: T2,pp, Fernand ,Braudel ,La Méditerranée..., Op. cit, 539-563.
- (27) فرنان، بروديل، المرجع السابق، ص144. وينظر أيضا: Fernand ,Braudel ,La Méditerranée..., Op. Cit ,T2,pp.539-563.
- (28) فرنان، بروديل، المرجع السابق، ص140. وللإطلاع أكثر على القضية الموريسكية من وجهة النظر البروديلية (بروديل): ينظر: Fernand ,Braudel ,La Méditerranée ..., Op. Cit ,T2,pp.515- 539.
- (29) كورين، شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر(1510-1541م)، تعريب، جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص49.
- (30) احتوت كتب اللغة على كل أنواع المراكب البحرية المعروفة آنذاك وعلى خصائصها وحجمها وحمولتها وطرق استخدامها، كالمركب، الجفن، القطعة... الخ. ينظر: مولاي، بالحميسي، البحر والعرب في التاريخ والأدب، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م، ص ص 11-12.
- (31) فرنان، بروديل، المرجع السابق، ص ص 151-152.
- (32) فرنان، بروديل، البحر الأبيض المتوسط (التاريخ والمجال). تعريب: يوسف شلب، دمشق، 1990، ص19.
- (33) فرنان، بروديل، المتوسط ...، المرجع السابق، ص151. وينظر أيضاً: محمد خير، فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، الطبعة الأولى، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979، ص89.
- (34) فرنان، بروديل، المتوسط...، المرجع السابق، ص 152.

- (35) حول الصراع البحري الذي استفحل بين المسلمين والمسيحيين قبل ظهور الخلافة العثمانية. ينظر: مولاي، بلحميسي، المرجع السابق، ص ص 65 - 109.
- (36) كورين، شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541). تعريب: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص 49 - 50.
- (37) فرنان، بروديل، المتوسط...، المرجع السابق، ص 153.
- (38) محمد، أمين، "القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر" المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، مؤسسة التصميم للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، العدد 21، سبتمبر 2000م، ص 24.
- (39) جون، ب، وولف، المرجع السابق، ص 239.
- (40) فرنان، بروديل، المتوسط...، المرجع السابق، ص 152.
- (41) نفسه، ص 154.
- (42) Moulay, Belhamissi, Histoire de La marine Algérienne (1516-1830), 2eme éditions, ENAL, Alger, 1983, p.19.
- (43) فرنان، بروديل، المتوسط...، المرجع السابق، ص 153.
- (44) Lafi, Nora, "Salvator, Bono, Corsari nel mediterraneo, Christianie musulman fra, Guerra, Schiavithu commercio" in Revue du Monde musulman et de La méditerranée, Vol 68, N°01, 1993, p.302.
- (45) كورين، شوفالييه، المرجع السابق، ص 49.
- (46) فرنان، بروديل، المتوسط...، المرجع السابق، ص 153. وينظر أيضا: عائشة، غطاس، وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر الجزائرية، 2007، ص 19.
- (47) محمد، خير فارس، المرجع السابق، ص 92.
- (48) فرنان، بروديل، المتوسط...، المرجع السابق، ص 152.
- (49) فرنان، بروديل، المتوسط...، المرجع السابق، ص 153.
- (50) وليم، سينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب: عبد القادر زبادية، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 11.
- (51) Braudel, La Méditerranée..., Op.cit, T2, p.562.
- وينظر أيضا: شارل أندري، جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الطبعة الثانية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 2، ص 334.

- (52) فرنان، بروديل المتوسط... المرجع السابق، ص153.
- (53) Boyer,(P), La Vie quotidienne à Alger a La Veille de L'intervention Française hachette, 1963,p.231.
- (54) فرنان، بروديل، المتوسط... المرجع السابق، ص152.
- (55) نفسه، ص ص153-154.
- (56) عبد الجليل، التميمي، الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، تونس، 1984، ص99.
- (57) Fernand ,Braudel ,La Méditerranée ..., Op. Cit ,T3, Les événements,
- (58) Ibid, pp.234-235. La politique et Les hommes, p.233.
- (59) هي مدينة ساحلية قديمة تقع في المورة. وتبعد عن لبيانت بوحد وثمانين كيلومتراً يفصل بينهما مضيق باتراس. وتضم العديد من المساجد والكنائس الإغريقية. يتواجد بها اليهود بكثرة. استولى عليها البنادقة في عام 1687م. واستقروا فيها إلى غاية 1716م. تشتهر المدينة بإنتاج الحرير والجلد. ينظر:
- Giraud et Vosgien, Dictionnaire géographique ou description de quatre parties du monde Tourna chan - Moline Librairie Lyon, 1810,p.514.
- Fernand, Braudel, La Méditerranée ..., Op. cit, T3,pp.249-250. (60)
- (61) محمد فريد بك، المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، الطبعة الخامسة، دار النفائس، بيروت، 1986، ص257.
- Fernand ,Braudel ,La Méditerranée...,Op.cit, T3,pp.250-251. (62)
- (63) Ibid, p.233. (64)
- Ibid, pp.252. (65)
- Ibid, p.233. (66)
- وجيه، كوثراني، تاريخ التأريخ (اتجاهات، مدارس، مناهج)، الطبعة الثانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، ص216.
- Fernand ,Braudel ,La Méditerranée...,Op.cit,T3,pp.251-254. (67)
- (68) فرنان، بروديل، المتوسط... المرجع السابق، ص ص124 - 125.
- (69) Fernand, Braudel, Les Espagnols..., Op.cit,p.401.
- (70) فرنان، بروديل، المتوسط... المرجع السابق، ص154.
- (71) نفسه، ص148.